استعمال " قبل " و " بعد " في القرآن الكريم وصحيح البخاري

م. م. فارس علي صالح
جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين وجعله باقيا محفوظا الى يوم الدين على لسان سيد المرسلين وأفصح الناس أجمعين محمد الأمين صلى عليه وسلم رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فلا زال أهل اللغة ينهلون من كلام الله وكلام رسوله أبلغ الحجج والقواعد في علوم العربية كلها. فاردت أن أتناول في هذا البحث دراسة ظرفين من ظروف الغايات وهما: قبل وبعد، من خلال إستقراء القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في صحيح البخاري، ومن ثَمَّ الموازنة بين هذا الإستقراء وبين ما في كتب النحو من قواعد، لمعرفة استعمالهما.

والله أسال التوفيق والسداد للصواب في القول والعمل. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أولاً: حالات " قبل " و" بعد ":

يورد النحويون لـ " قبل " و" بعد " أربع حالات:

- **الحالة الاولى:** أن يكونا مضافين، وأن يُصرّح بالمضاف إليه. فيعربان نصباً على الظرفية، أو جرّاً بـ " من ".

وجاء الاستعمال في القرآن الكريم موافقاً لهذه الحالة، كما في قوله تعالى: چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ چ[آل عمران: ٨٦]، وقوله تعالى: چ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ چ [يوسف: ١٠٩]، وقوله تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ چ[النمل: ٤٦].

هذا وقد ورد مثل هذا الإستعمال في الحديث النبوي، كما في قول النبي(ﷺ): " من ذَبَحَ قبل الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا يَذْبَحُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَقَدْ تَمَّ نُسُكُهُ وَأَصَابَ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ "(١). وكقوله (ﷺ): " قال نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يوم الْقِيَامَةِ بَيْدَ كل أُمَّةٍ أُوتُوا الْكِتَابَ من قَبْلِنَا وَأُوتِينَا من بَعْدِهِمْ فَهَذَا الْيَوْمُ الذي اخْتَلَفُوا فيه فَغَدًا لِلْيَهُودِ وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى "(٢).

- **الحالة الثانية:** أن يحذف المضاف إليه، فيبنيان على الضم. ويشترط النحويون في هذه الحالة: "أن ينوى معنى المضاف إليه"(٣).

قال سيبويه: "فأما ما كان غايةً نحو: قبلُ، وبعدُ ... فإنَّهم يحرِّكونه بالضمّة... ويدلُّك على أنْ قَبلُ وبَعدُ غير متمكّنينِ أنه لايكون فيهما مفردين ما يكون مضافين؛ ولا تقول: قَبْلُ وأنت تريد أن تَبني عليها كلاماً، ولا تقول: هذا قَبْلُ، كما تقول: هذا قَبلَ العَتَمة، فلمّا كانت لا تَمكَّنُ، وكانت تقع على كلِّ حينٍ، شُبِّهتْ بالأصوات وهَلْ وبَلْ ؛ لأنَّها ليست متمكِّنة"(٤).

وجاء الاستعمال القرآني موافِقاً لهذه الحالة، وذلك في مثل قوله تعالى: چ ڈ ڈ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ چ چ چ چ [المائدة: ١١٥]، وقوله تعالى: چ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ چ [الروم: ٤]، وقوله تعالى: چ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ چ [الطور: ٢٦].

أما الحديث النبوي فقد ورد في مثل قول النبي (ﷺ) :" فيؤتيني عليه ما لم يَكُنْ يؤتيني عليه من قَبْلُ "[٥]. وقوله (ﷺ): " فَكُلُّ من يَدْخُلُ الْجَنَّةَ على صُورَةِ آدَمَ فلم يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حتى الْآنَ "[٦].

وقوله (ﷺ): " لَا تُصَرُّوا الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ فَمَنْ ابْتَاعَهَا بَعْدُ فإنه بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ"[٧]. وقوله (ﷺ): " ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ فإن الْفَضْلَ فيه "[٨].

- **الحالة الثالثة:** أن يحذف المضاف إليه، وينوى ثبوت لفظه، فيعربان نصباً على الظرفية، أو جراً بـ" من "، ولا ينونان لنية الإضافة. مثل: (جئتك قبلَ وبعدَ) و(من قبلِ ومن بعدِ).

وفي سياق كلام الفراء عن قوله تعالى: چ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ چ [الروم: ٤]، كما هي قراءة الجمهور[٩]، قال: "فإن نويت أن تظهره (يعني: المضاف إليه) أو أظهرته قلت: لله الأمر من قبلِ ومن بعدِ، كأنك أظهرت المخفوض الذي اسندت إليه قبل وبعد "[١٠]. ونقل الفراء أنّ الكسائي حكى عن بعض بني اسد: (لله الأمرُ من قبلِ ومن بعدُ) يخفض " قبلِ" ويرفع "بعدُ" على ما نوى[١١]. فالفراء يجوّز ترك التنوين فيبقى كما هو في الإضافة وإن حذف التنوين، وأنكر النحاس ما قاله الفراء وردّه، وأثبت التنوين في حكاية الكسائي عن بعض بني أسد: (من قبلٍ ومن بعدٍ)، فقال النحاس: "الاول مخفوض منوّن، والثاني مضموم بلا تنوين"[١٢]. ولكننا نجد العكبري يثبت الكسر بلا تنوين لـ "قبل" و "بعد"، فقال: "وقرئ شاذاً بالكسر فيهما على إرادة المضاف إليه"[١٣].

وقد استشهد الفراء للجر مع حذف التنوين بما أنشده الكسائي:

أكابِدهَا حَتى أُعَرِّسَ بَعْدَ مَا يكون سُحُيْراً أو بُعَيدَ فأهْجَعَا[١٤]

أراد بُعيدَ السحر فأضمره[١٥].

- **الحالة الرابعة:** أن يحذف المضاف إليه لفظاً ومعنىً، فيعربان أيضاً نصباً على الظرفية، أو جراً بـ " من "، ولكنّهما يُنوّنان، كسائر الاسماء النكرات. مثل: (جئتك قبلاً وبعداً) و(من قبلٍ ومن بعدٍ).

واستشهد النحويون لهذه الحالة بقراءة ابي السمال والجحدري وعون العقيلي: (من قبلٍ ومن بعدٍ)[الروم ٤]، بالكسر والتنوين فيهما(١٦).

وبعد عرض حالات "قبل" و"بعد" يمكن أن نلاحظ جملة أمور، هي: أنّ الحالتين الأولى والثانية يؤيدهما الإستعمال في القرآن الكريم، ويؤيدهما أيضاً الإستعمال في الحديث النبوي، بحسب ما استقريناه في صحيح البخاري.

أما الحالة الثالثة والرابعة فلم تردا في الحديث النبوي، ولافي القراءات المشهورة في القرآن الكريم، وإنما وردتا في القراءات الشاذة ولآية واحدة فقط.

ويبدو لنا أنَّ هذه القراءات الشاذة تمثل لهجات عربية، كما قال ابن قتيبة: "فكان من تيسيره: أنْ أمره بأن يقرئ كلّ قوم بلغتهم، وما جرت عليه عاداتهم"(١٧). وإذا استحضرنا أنَّ أساس التعدد في القراءات هو: تعدد في اللهجات، سيتبيّن لنا أنَّ هذا التعدد ما هو في حقيقة الأمر إلاّ صور متعددة لظاهرة لغوية واحدة.

ويؤيد ذلك . فيما يخص بحثنا هذا . ما اشار إليه بعض علماء العربية من نسبة هاتين الحالتين إلى لهجات بعض العرب. ففي الحالة الثالثة نقل الفراء عن الكسائي أنَّه سمع بعض بني أسدٍ يقرأ بخفض "قبلِ"(١٨).

وفي الحالة الرابعة قال سيبويه: " وزعموا أنّ بعض العرب يصرف قبلاً وبعداً، فيقول: ابدأ بهذا قبلاً فكأنه جعلها نكرة"(١٩). أما الفراء فيمكن أن نلمس أثناء كلامه على هذه الحالة من حالات "قبل" و"بعد"، أنه يتحدث عن ظاهرة واحدة بصور متعددة، في قوله: "ولو أطلقتهما بالعربية فنوّنت وفيهما معنى الاضافة خفضت في الخفض ونوّنت في النصب والرفع لكان صواباً. وقد سمع ذلك من العرب، وجاء في اشعارها"(٢٠).

من كلّ ذلك يمكن أن نستنتج أنّ النحويين قد خلطوا انظمةً لهجية متعددة لصياغة قاعدة واحدة، فالحالتان الثالثة والرابعة من حالات "قبل" و"بعد" ماهما إلاّ صورتان لهجيتان للحالة الثانية الواردة في الاستعمال القرآني وفي الحديث النبوي، كما استقرينا في صحيح البخاري.

ذلك أنّ لكل لهجة عرفها ونظامها الخاص بها، والتداخل بين أنظمة لهجية متعددة لا يعطي صورة واحدة واضحة عن أيّ نظام من هذه الانظمة، وسنجد أنفسنا أمام نظام غير واضح المعالم، ومستويات متعددة من الاستعمال، دون معرفة المستوى المقبول منها، أو مدى الإفادة منها تطبيقياً.

ثانياً: دخول "مِنْ" على قبل وبعد:

لا توجد قاعدة معينة لدخول (من) على(قبل) و(بعد)، إذ قد يميل الاستعمال إلى الجر بـ (من)، كما قد يميل إلى الاستغناء عنها أيضاً[٢١]، ويتضح ذلك جلياً في المواضع المتشابهة في السياقات، ومثال دخول (من) على (قبل) أو عدم دخولها في قوله تعالى: چ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ چ [يوسف: ١٠٩]، وفي قوله تعالى: چ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ چ [الأنبياء: ٧]، وكذلك في قوله تعالى: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ چ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله تعالى: چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ □ □ □ □ □ □ چ [الفرقان: ٢٠].

والامر نفسه ينطبق على "بعد"، فمثال دخول(من)على "بعد" أو عدم دخولها، ما جاء في قوله تعالى: چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک گ گ چ [البقرة: ١٦٤]

وقوله تعالى: چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ [العنكبوت: ٦٣]، وقوله تعالى: چ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ چ [الجاثية: ٥][٢٢].

ولايختلف الأمر بالنسبة للحديث النبوي، فقد ورد الاستعمال فيما استقريناه من صحيح البخاري بدخول (من) عليهما، من ذلك قوله (ﷺ): " وإذا الْخَيْرُ ما جاء الله بِهِ من الْخَيْرِ وَثَوَابِ الصِّدْقِ الذي آتَانَا الله بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ"[٢٣]. وكقوله (ﷺ): " ألا وَإِنَّهَا لم تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ولم تَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي "[٢٤]. وكقوله(ﷺ): " إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ

الْأَنْبِيَاءِ من قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ..." [٢٥]. وكقوله (ﷺ): " خَيْرُ الناس قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ من بَعْدِهِمْ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَتُهُمْ أَيْمَانَهُمْ وَأَيْمَانُهُمْ شَهَادَتَهُمْ"[٢٦].

ويتضح ذلك أكثر فيما ورد من الأحاديث التي تعدد فيها ألفاظ الحديث الواحد بحسب الروايات، كما في قوله (ﷺ): " من كانت عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ منها فإنه ليس ثَمَّ دِينَارٌ ولا دِرْهَمٌ من قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ من حَسَنَاتِهِ"[٢٧]. فقد ورد هذا الحديث بلفظ: " من كانت له مَظْلَمَةٌ لأحد من عِرْضِهِ أو شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ منه الْيَوْمَ قبل أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ ولا دِرْهَمٌ إن كان له عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ منه بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ"[٢٨].

هذا، وقد اختلف النحويون في "من" الداخلة على "قبل" و"بعد"، على ثلاثة أقوال:

١- انها لابتداء الغاية[٢٩].

٢- انها زائدة[٣٠].

٣- انها بمعنى "في"[٣١].

والذي يبدو لنا من خلال الشواهد القرآنية والاحاديث النبوية أنّ الراجح هو القول الثاني الذي يرى زيادة "من".

الخلاصة:

١- اقتصر استعمال "قبل" و"بعد"، في القرآن الكريم والحديث النبوي على حالتين إعرابيتين، الأولى: التصريح بالمضاف إليه، فينصب على الظرفية أو يجر بـ"من"، والثانية: حذف المضاف إليه، فيبنى على الضم.

٢- إنّ ما يذكره النحويون من حالات أخرى لـ "قبل" و"بعد" هو صور للهجات عربية أخرى للحالة الثانية المذكورة آنفاً وهي أن يحذف المضاف إليه، فيبنيان على الضم، فقد خلط النحويون بين هذه اللهجات لاستخلاص قاعدة واحدة.

٣- الراجح من آراء النحويين زيادة "من" الداخلة على "قبل" و"بعد". وليس لظهورها أو عدمه قاعدة معينة.

٤- من الضروري اللجوء إلى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف لمعرفة المستوى المقبول من الاستعمال.

الهوامش:

(١) صحيح البخاري ٥/ ٢١١٢ برقم ٥٢٣٦.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٢٨٥ برقم ٣٢٩٨.

(٣) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك، ٢٤٢/٣.، ارتشاف الضرب لابي حيان ٥١٣/٢.، شرح المفصل لابن يعيش ١٠٧/٣، شرح قطر الندى لابن هشام ٥٨.، همع الهوامع، للسيوطي ١٤١/٢.، خزانة الأدب للبغدادي ٥٠٤.٥٠٣/٦.

(٤) الكتاب لسيبويه ٢٨٦/٣. وينظر: المقتضب للمبرد ١٧٥/٣.

(٥) صحيح البخاري ٦/ ٢٤٦٣ برقم ٦٣١٦.

(٦) صحيح البخاري ٥/ ٢٢٩٩ برقم ٥٨٧٣.

(٧) صحيح البخاري ٢/ ٧٥٥ برقم ٢٠٤١.

(٨) صحيح البخاري ٣ /١٢٣١ برقم ٣١٨٦.

(٩) ينظر: تفسير البحر المحيط لابي حيان ١٥٨/٧.

(١٠) معاني القرآن للفراء ٢١٢/٢.

(١١) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢١٢/٢.

(١٢) إعراب القرآن للنحاس ٧٣٦. وينظر: تفسير البحر المحيط ١٥٨/٧.

(١٣) التبيان في إعراب القرآن للعكبري ٣٠٤. وينظر: مغني اللبيب لابن هشام ١٥٨. و شرح قطر الندى ٥٨.، أوضح المسالك لابن هشام ١٣٢/٣.

(١٤) البيت لسويد بن كراع العكلي أحد بني الحارث بن عوف بن وائل كان شاعرا فارسا مقدما من شعراء الإسلام في الدولة الأموية وكان في أيام جرير والفرزدق استعدت بنو عبد الله سعيد بن عثمان على سويد بن كراع في هجائه إياهم فطلبه ليضربه ويحبسه فهرب منه ولم يزل متواريا حتى كلم فيه فأمنه على أن

لا يعاود فقال سويد بن كراع في ذلك الطويل ينظر: الوافي بالوفيات: ١٦/ ٢٩ -٣٠ ،. و خزانة الأدب ٥٠٥/٦.

(١٥) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢١٢/٢

(١٦) ينظر: تفسير البحر المحيط ١٥٨/٧. و: ارتشاف الضرب ٥١٤/٢، وأوضح المسالك ١٣٢/٣، وهمع الهوامع ١٤١/٢.

(١٧) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٣٩. وينظر: في اللهجات العربية لإبراهيم أنيس ٥٠.٤٩، و الأجوبة العلمية لغانم قدوري الحمد ١٩.١٥.

(١٨) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢١٢/٢.

(١٩) الكتاب ١٩٩/٢.

(٢٠) معاني القرآن للفراء ٢١٢/٢.

(٢١) ينظر: دراسات لأسلوب القران الكريم، لمحمد عبد الخالق عظيمة ٥٤٣/٩.

(٢٢) ينظر أيضاً: فاطر:٩، والحديد:١٧، والنحل:٦٥، والروم:٢٤ و ٥٠.

(٢٣) صحيح البخاري ٣/ ١٣٢٦ برقم ٣٤٢٥

(٢٤) صحيح البخاري ١/ ٥٣ برقم ١١٢ ١٢٨٤ و ١٧٣٦.

(٢٥) صحيح البخاري ٣/ ١٣٠٠ برقم ٣٣٤٢.

(٢٦) صحيح البخاري ٥ /٢٣٦٢ برقم ٦٠٦٥.

(٢٧) صحيح البخاري ٥/ ٢٣٩٤ برقم ٦١٦٩.

(٢٨) صحيح البخاري ٢/ ٨٦٥ برقم ٢٣١٧.

(٢٩) ينظر: مغني اللبيب ٣١٣. و معاني النحو، لفضل السامرائي ١٦٨.١٦٧/٢.

(٣٠) ينظر: مغني اللبيب ٣١٣. و معاني النحو ١٦٨.١٦٧/٢.

(٣١) ينظر: شرح الكافية، للرضي ١٧١/١. و معاني النحو ١٦٨.١٦٧/٢.

المصادر:

١- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الاندلسي (٧٤٥هـ)، تحـ: مصطفى أحمد النماس، ط١، ١٤٠٤هـ . ١٩٨٤م.
٢- إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس (٣٣٨هـ): اعتنى به: الشيخ خالد العلي، دار المعرفة، بيروت . لبنان، ط٢، ١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م.
٣- أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك، لابن هشام الانصاري (٧٦١هـ): دار الطلائع، القاهرة، ٢٠٠٩ م.
٤- البحر المحيط، لأبي حيان الاندلسي (٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط٢، ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م.
٥- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (٢٧٦هـ)، تحـ: السيد أحمد الصقر، المكتبة العلمية، القاهرة، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
٦- التبيان في إعراب القرآن للعكبري (٦١٦هـ)، إعداد فريق بيت الافكار الدولية.
٧- الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، تحـ: د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٨- خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٩- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة: دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١٠- شرح التسهيل، جمال الدين ابن مالك (٦٧٢هـ)، تحـ: د.عبد الرحمن السيد و د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

١١- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الانصاري (٧٦١هـ)، مكتبة دار الفجر، دمشق، ط٣، دمشق، ٢٠٠١.
١٢- شرح المفصل، لابن يعيش (٦٤٣هـ)، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٣- في اللهجات العربية، الدكتور إبراهيم أنيس، الناشر مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
١٤- الكتاب، لسيبويه (١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٥- محاضرات في علوم القرآن، غانم قدوري الحمد: دار عمار، عمان.
١٦- معاني القرآن، للفرّاء (٢٠٧هـ)، قدم له وعلق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
١٧- معاني النحو، الدكتور فاضل صالح السامرائي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت . لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
١٨- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، لابن هشام الانصاري (٧٦١هـ)، حققه وعلق عليه: د. مازن المبارك و محمد علي حمد الله، راجعه: سعيد الافغاني، دار الفكر، بيروت . لبنان، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
١٩- المقتضب، للمبرد (٢٨٥هـ)، تحـ: محمد عبد الخالق عضيمة، جمهورية مصر، وزارة الاوقاف، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، لجنة احياء التراث الاسلامي، القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٢٠- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين السيوطي(٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.